**المحاضرة 02: الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية**

تطورت الأنتروبولوجيا الاجتماعية على يد باحثين أنتروبولوجيين في علم الاجتماع حيث تبحث في دراسة السلوك الاجتماعي، وأشكال النظم الاجتماعية كالعائلة، والقرابة والبناء الاجتماعي، وعند دراسة الإنسان وأعماله يتم التمييز بين "المجتمع" وبين الثقافة فهي السلوك وجملة المنجزات المادية والمعرفية.

1. **الأنتروبولوجيا الاجتماعية:**

لقد اهتمت الأنتروبولوجيا الاجتماعية بدراسة المجتمعات الإنسانية، وعلى المستويات الحضارية كافة، إذ يعد ذلك منطلقا أساسيا في فلسفة علم الأنتروبولوجيا وأهدافها، ولاسيما دراسة أساليب حياة المجتمعات المحلية، إلى جانب دراسات ما قبل التاريخ ودراسة اللغات واللهجات المحلية، وقد استخدم مصطلح الأنتروبولوجيا الاجتماعية للمرة الأولى سنة 1980م عندما كرّمت جامعة ليفربول في بريطانيا السيد جيمس فريزر ومنحته لقب الأستاذ.

وظهرت أولى بوادر هذا الفرع من الأنتروبولوجيا في القرن الثامن عشر والتي مهدت لظهور الأنتروبولوجيا الاجتماعية من خلال كتاب "روح القوانين" الذي ألفه "مونتيسكيو" عالم الاجتماع الفرنسي، والذي أكدّ فيه أن المجتمع البشري وما يحيط به يتكون من مجموعة نظم مترابطة بحيث لا يمكن فهم أي قانون من القوانين عند أي شعب من الشعوب إلا إذا درست العلاقات التي تحكم هذا النظام أو ذاك بما فيها البيئة والحياة الاقتصادية أو المعتقدات والأخلاق السائدة.

كما ظهر "سان سيمون" عالم الاجتماع الفرنسي الذي يعد أوّل من رأى بضرورة إنشاء علم للمجتمع، واعتبر أن مهمة علماء الاجتماع لا تقتصر على دراسة المفاهيم والتصورات الاجتماعية فحسب، وإنما يجب أن تشمل تحليل الوقائع والحقائق التي تعززها([[1]](#footnote-1)).

أما في انجلترا فقد ظهرت دراسات تمهيدية لعلم الأنتربولوجيا الاجتماعية، ولاسيما من خلال أبحاث دافييد هيوم وآدم سميت، حيث اعتبرا أن كل مجتمع إنساني هو نسق طبيعي ينشأ من الطبيعة البشرية وليس عن طريق التعاقد، واعتبر المجتمع الإنساني ظاهرة طبيعية لابد من استخدام المنهج التجريبي والاستقرائي عند دراسته بدلا من المناهج العقلية والفلسفية.([[2]](#footnote-2))

ويعد القرن التاسع عشر فترة نشوء الأنتروبولوجيا الاجتماعية كعلم معترف به، فظهرت في النصف الثاني منه عدة دراسات بحثت في هذا العلم وحددت معالمه الأساسية، ولاسيما من خلال مؤلفات إدوارد تايلور وماكلينان في انجلترا، وبافوفين في سويسرا، حيث اهتم هؤلاء بدراسة النظم الاجتماعية أو الأبنية الاجتماعية لهذه المجتمعات، فوضعوا بذلك أسس الأنتروبولوجيا الاجتماعية، وقد تأثر هؤلاء الباحثين بنظريات داروين في النشوء والارتقاء بالرغم من أنها نظريات بيولوجية،إلا أنهم أسقطوا على الجانب الاجتماعي للمجتمعات البدائية وغيرها من المجتمعات، واعتبروا أن الحضارات البدائية المعاصرة تمثل شواهد دالةعلى مراحل التطور الاجتماعي التي مرّت بها الحضارة الحالية المتقدمة.

وقد مثل القرن التاسع عشر نشأة الأنتروبولوجيا الاجتماعية وإن كانت في صورة غير ناضجة، حيث بدأت عناصر صورتها تزدهر في أواخر هذا القرن وبداية القرن العشرين.

في القرن العشرين وصلت الأنتروبولوجيا إلى مرحلة التخصّص بدراسة البنى الاجتماعية للمجتمعات وازدهرت الدراسات الميدانية على يد الانكليزي راد كليف بروان وما لينوفسكي وبتأثير ذلك أصبحت الأنتروبولوجيا الاجتماعية تدرّس كفرع متخصص في الجامعات البريطانية، وانتشر تطبيق منهج الدراسة الميدانية، وفي النصف الثاني من القرن العشرين تم اعتماد تطبيق المنهج التجريبي بدلا من المنهج المقارن، حيث يستند كل باحث أنتروبولوجي في تطبيقه للمنهج التجريبي إلى نتائج دراسة باحث آخر لمجتمع معين، ويقوم بدوره بالتأكد من صحة هذه النتائج من خلال قيامه بدراسة مجتمعات أخرى، وبذلك تصبح الفرضيات المتفق عليها مبادئ عامة في نهاية الأمر، أو معارف متداولة في مجال الأنتروبولوجيا الاجتماعية، وهذا ما عزز من الأنتروبولوجيا في العصر الحديث.

1. **الأنتروبولوجيا الثقافية:**

تضطلع الأنتروبولوجيا الثقافية بدراسة مختلف ثقافات الإنسان، ذلك أنه كائن ثقافي يحمل الثقافة ويعيش في غمرتها، وهو ناقل لها عبر الأجيال المختلفة، وتأتي الأنتربولوجيا الثقافية لتدرس الثقافة والسلوك الإنساني، كما تدرس التباين أو التشابه الثقافي بين الأفراد والجماعات أو المجتمعات البشرية، وكيف تطورت هذه الثقافة ونمت عبر الأزمنة المختلفة.

وتعرّف الأنتروبولوجيا الثقافية أو علم الإنسان الثقافي، بأنها ذلك العلم الذي يدرس الإنسان من حيث كونه عضوا في المجتمع الذي يحمل ثقافة ما، ويمارس سلوكه وفق مقتضيات هذه الثقافة من حيث العادات والقيم والتقاليد، والدين واللغة، ومختلف الأنظمة الحياتية الأخرى.

وهو ذلك العلم "الذي يهتم بدراسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكه النابع من ثقافته، وهي تدرس الشعوب القديمة كما تدرس الشعوب المعاصرة([[3]](#footnote-3)).

وتهدف الأنتروبولوجيا الثقافية إلى فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها، كما تهدف إلى دراسة عمليات التغير الثقافي والتمازج الذي يحدث وفقها، وكذا تحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات وتفسّر بالتالي المراحل التطورية للمنظومة الثقافية داخل المجتمع الواحد، أو للمجتمعات المختلفة.

* **أقسام الأنتربولوجيا الثقافية:**

اتفق الأنتروبولوجيون على تقسيم هذا الفرع من الأنتروبولوجيا إلى ثلاثة أقسام أساسية هي علم اللغويات، علم الآثار وعلم الثقافات المقارن.

**أ- علم اللغويات:**

وهو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحية، ولاسيما المكتوب منها في السجلات التاريخية، كاللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحية المعاصرة كالعربية والفرنسية والانجليزية وغيرها، ويهتم دارسوا اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاءً ناقلا للثقافة.

وتعد اللغة من الصفات التي تميز الكائن الإنساني، وجرى تطورها وازدهارها عن طريق التخاطب والاتصال بين الأفراد والجماعات، وحتى ما بين المجتمعات، بواسطة رموز صوتية، وأشكال كلامية متفق عليها، كما تعد وسيلة لنقل التراث الثقافي والحضاري للمجتمعات.([[4]](#footnote-4))

**ب- علم الآثـــار:**

يهتم علم الآثار بدراسة ما تركه الإنسان من أشياء مادية، كالملبوسات والمصنوعات والبناءات والعمران، ويدرس علم الآثار هذه المخلفات بصفتها وثائق وشواهد تنتمي إلى حضارة معينة، ويبحث هذا الفرع من علم الأنتروبولوجيا الثقافية الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولاسيما الثقافات المنقرضة، كما يسعى للحصول على معلومات عن الشعوب القديمة، كما يدرس تاريخ الإنسان وما رافقه من تغيرات ثقافية في محاولة لبناء تصور كامل عن الحياة الاجتماعية التي عاشتها المجتمعات القديمة، ومجتمعات ما قبل التاريخ، وإذا كان علم الآثار يعتمد إلى حد ما على التاريخ، فإنه يختلف عنه في أنه لا يدرس المراحل الحضارية المؤرخة، وإنما يدرس تلك الفترات التي عاشها المجتمع الإنساني قبل اختراع الكتابة وتدوين التاريخ.([[5]](#footnote-5))

**ج-علم الثقافات المقارن:**

وهو علم دراسة الشعوب، ويعرف أيضا بالأثنولوجيا، ويبحث هذا العلم في نشأة السلالات البشرية، والأصول الأولى للإنسان وترجع لفظة الأثنولوجيا إلى الأصل اليوناني أثنوس-Ethnos وتعني دراسة الشعوب، من حيث خصائصها اللغوية والثقافية والسلالية وتعتمد الأثنولوجيا في تفسير توزيع الشعوب في الماضي والحاضر، على أنه نتيجة لتحرك هذه الشعوب واختلاطها وانتشار الثقافات، كما تدرس أصول الثقافات، والمناطق الثقافية وهجرة الثقافات، وانتشارها والخصائص الثقافية لكل منها.

كما يدرس هذا العلم الثقافة عن طريق القوانين المقارنة، ويقصد به المقارنة ما بين قوانين الشعوب البدائية في العادات والنظم والتقاليد كالنسب الأبوي، الاختلاط الجنسي طرائق الزواج المختلفة.

لقد تبلورت الأثنولوجيا بعد الحرب العالمية الثانية، وشكلت ما يعرف بالأنتروبولوجيا المعاصرة، ولم تعد تقصر مجال دراستها على المجتمعات صغيرة الحجم أو المحلية ذات الثقافات والمجتمعات كلها، وعلى اختلاف حجمها وموقعها([[6]](#footnote-6))، فتعددت اتجاهات الباحثين في هذا المجال وتنوعت الدراسات التي تهتم بالجماعات والشعوب.

1. **أهداف دراسة الأنتروبولوجيا:**

تحقق دراسة الأنتروبولوجيا مجموعة من الأهداف يمكن حصرها في عدة نقاط أساسية وهي:

1-وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، وذلك عن طريق معاينة الباحث للجماعات المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم به أفرادها من سلوكات في حياتهم اليومية.

2- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة في سياق الترتيب التطوري والحضاري العام للإنسان (بدائي-زراعي-صناعي- معرفي-تكنولوجي).

3- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني، وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغير المختلفة.

4- استنتاج المؤشرات، والتوقعات لاتجاه التغير المحتمل في الظواهر الإنسانية الحضارية التي تتم دراستها، وبالتالي إمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعات البشرية التي أجريت عليها الدراسة.([[7]](#footnote-7))

إن اهتمام الأنتروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانية كلها وعلى المستويات الحضارية كافة يعد منطلقا أساسيا في فلسفة علم الأنتروبولوجيا وأهدافها، وعلى الرغم من التوسع في مجال الدراسات الأنتروبولوجية، لازالت الاهتمامات التقليدية، ولاسيما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات وللهجات المحلية، وآثار ما قبل التاريخ، وهي تؤكد بلا شك تفرد مجال الأنتروبولوجيا عن غيرها من العلوم الأخرى ولاسيما علم الاجتماع، ومن هنا كانت أهمية الدراسات الأنتروبولوجية في تحديد صفات الكائنات البشرية، وإيجاد القواسم المشتركة فيما بينها بعيدا عن التعصب والأحكام المسبقة التي لا تستند إلى أي أصول علمية.

1. **()**- محمد جوهري وعلياء شاكر، مرجع سابق، ص31. [↑](#footnote-ref-1)
2. **()**- مبروك بوطقطوقة: الأنتروبولوجيا الاجتماعية، موقع أنتروبوس Anthropos.com، تاريخ الاطلاع 27اكتوبر2018. [↑](#footnote-ref-2)
3. **()** - رالف يلز، هاري هويجر: مقدمة في الأنتروبولوجيا العامة، ترجمة: محمد الجوهوري وآخرون، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1977، ص21. [↑](#footnote-ref-3)
4. **()**- أزهري مصطفى صادق: الأنتروبولوجيا الطبيعية والثقافية (د.ط)، جامعة الملك سعود، ص11. [↑](#footnote-ref-4)
5. **()-** أزهري محمد صادق، المرجع سابق، ص12. [↑](#footnote-ref-5)
6. **()**- عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان، مرجع سابق، ص110-111. [↑](#footnote-ref-6)
7. **()** - عيسى الشماس، المرجع نفسه، ص16. [↑](#footnote-ref-7)